

لُغَةُ الْعَرَبِ

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ إِدْبِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ

الجزء ٥ من السنة ٢ عن ذي القعدة وذي الحجة ١٣٣٠ - تشرين الثاني ١٩١٢

❖ نبذة ❖

(من طادات العراقيين المساميين)

كلمة في عاداتهم

Pratiques et Superstitions religieuses chez les Musulmans
de Mésopotamie.

العراقيون من اسرع الناس الى التقليد، واكثرهم انهما كما بكل شيء جديد،
واشدهم اسئسا كما بعاداتهم وآدابهم واخلاقهم. ولا ابالغ اذا قلت ان ليس
من قوة موجودة فوق الارض « غير الله » قادرة على تغييرها او ابدالها
بأحسن منها. سرح طائر نظارك في ارجاء العراق وانعم النظر في احوال
قطانه وعاداتهم ونفقد شؤونهم وحركاتهم وسكناتهم، وراقب احتفالاتهم
ومجمعاتهم، وندبر مسامرتهم ومحادثاتهم، وانقدها نقد الصيرفي الماهر
للدهرم والدبنار. نجدها لأول وهلة لاختلف كثيرا عما كان عليه آباؤهم
في سالف القرون، بل لتجدن اطوارهم وعاداتهم التي هم عليها الآن تنطبق
تمام الانطباق على وصف الباحثين والأثريين والسياح لسكان هذه
البلاد قبل مئات من السنين، وانك لا ترى فرقا كبيرا بينهم وبين اسلافهم
سواء كان في العادات او الآداب او الاخلاق اذ ان هذه البلاد قد

استعمر نساء ام عديدة واحتلتها دول كبيرة فلم تؤثر فيهم كثرة اختلاطهم بالام والشعوب، لا بل لم تغير شيئاً من عاداتهم اللهم الا بعض امور طفيفة لا يعتد بها لعدم شمولها جميع قطان القطر العراقي وهو امر بذلك على شدة تمسكهم بها وبثبت لك ذلك.

يدانك بينما نراهم شديدي التمسك بتلك العادات ضارة كانت ام نافعة؟ مخالفة لآداب الديانات ام موافقة لها، تجدهم اسرع الناس تبديلاً وتقليداً للام في كل شيء غريب في ازيائهم وقيامهم وقعودهم واكلهم وشربهم . ويظهر ذلك لسكل من جاء بغداد قبل عشر سنوات ولا حظ ما كان عليه اهلها من السذاجة والبداءة ثم غادروا وقدما ثابته رآها اليوم قد لبست حلقة من حلل التمدن ، وعلى قطانها من الازياء الغربية والاطوار العجيبة ما لم يكن العراقيون يعرفونه سابقاً وكثيراً ما كانوا يستهجنونها ويقبحون من جرى عليها او استحسناها . ولا ريب انك لو حولت الوجه نحو هذه البلدة قبل اعلان الدستور وتديرت ازياء العراقيين لوجدت فيهم ميزات فارقة بين اليهودي والمسيحي والمسلم اذ كان لسكل علامات او خصائص تدل عليه . ولو نظرت نظيرة في اسواقها الطويلة العريضة وشوارعها وازقتها لما رأيت نصرانياً لباساً البرنيطة الا المستخدمين في الوكالات والمحلات التجارية الكبرى ممن جاؤوا بلاد اوربا ونشأوا في احضان اساندة كليانها وتغذوا بلبان عاومها ومعارفها . ولما رأيت يهودياً لباساً الملابس الافرنجية على ما هو عليه الان الا ما قل ونذر ، ولما رأيت مسليماً لباساً الطربوش ومتازياً بالزي التركي او الافرنجي الا الموظفين في خدمة

الحكومة «١» بل لرأيت اكثرهم ولا اقول كلهم على ما كان عليه ابائهم متمسكين بالملابس العربية وهي لبس العباءة والعمامة والعقال، فكنت اذا دخلت اسواق بغداد في هائلك الازمنة تصورت انك في القرون الوسطى ونجحت لك البداوة والسذاجة بأجلى مظاهرها وابهى مناظرها . فلما اعلن الدستور واحسنت الامة العراقية بالنزلة الاوربية سرعان ما قلدوهم في ملبسهم وما كاهم ومشر بهم حتى انك اليوم لتعجب كل العجب من هذا التقليد الغير المنظر وظهر لك الفرق بين الزمانين ، ولكن هل ظهر الفرق في عاداتهم واخلاقهم كما ظهر في ازيائهم وملابسهم؟ كلا، ثم كلا، فان هائلك العادات قد استحكمت عراها بمرور الزمن وقوة الاستمرار فنوطدت اركانها، وازداد القوم تمسكاً بها مع وجود طبقة من النابذة الحديثة تحاربها بكل قواها وتنتشر الفضيحة بين السكان وتبين لهم اضرار هذه العادات المستهجنة التي ربما قضت على البقية الباقية من اخلاقهم النبيلة، وصنماتهم الجليلة فتقذف بهم من حائق الى مهاوي الهلاك والدمار .

انا لا اريد بمقاتلي هذه ان احارب عادات العراقيين واندد بالتمسكين بها اذ ان ذلك يحتاج الى وقت غير هذا الوقت، وقت يعرف فيه الشعب حقيقة الحياة ووظائفه في هذا المعترك ويعي بل ويدبر ما يقال له . ومن العيب ان يربد رجل عاجز مثلي القضاء على عادات امة كبيرة، كأمة العراق بمقالة او مقالين او ثلاث وهي قد استحكمت فيهم منذ عدة قرون

١٥٠ لم يتغير زي العراقيين جميعهم بل الذين حصل في لباسهم تغير هم اهل بغداد والبصرة فقط . اما الباقي كأهل كركلاء والنجف، والداوة، وسامراء، وغيرها من البلاد . فلم يتغير من زيهم شيئاً البتة .
(لغة العرب)

وقويت شوكتها وغرست في قلوبهم واستفحل شأنها بينهم حتى عدا أكثرها في عداد العادات الدينية ولا اغالي اذا قلت انهم يهتمون بها اكثر من اهتمامهم بأمر الدين ولا ريب ان ذلك عبء ثقيل لا يطيق حمله بل ادع ذلك لعظاء الرجال الذين يعرفون كيف يهذبون اخلاق الشعوب ويجعلونها خالصة نقية من كل شائبة خرافية من حيث لا تدري ولا تشعر. بيد ان الذي ارى ان اسطره على صفحات هذه المجلة الغراء هو ما وقفت على نذ من عادات العراقيين في افراحهم واحزانهم واحتفالاتهم العمومية والخصوصية وطربهم وانسهم وحنينهم ليظهر لدى القارئ انبيها ما وصلت اليه حاله سكان العراق من التأخر والانحطاط في تمسكهم بعادات خرافية ومعتقدات ما انزل الله بها من سلطان حتى انهم يضاهون بها برايرة افريقيا وقطان مغوليا في خرافاتهم التي قتلت كل شعور وامانت كل احساس وادراك.

٢ عادات اعتقادية

١ * جنبر سوري * «١» - هذه الكلمة محرقة دن جهار شنبه سوري،

«٢» ومعناها عيد نهار الاربعاء اذ ان الفرس يزعمون بوجود دار بعاء واحد نحس

«١» باليوم الثلاثة الفارسية وغان جعفر وسوري بضم السين وسكون الواو بعدها راء مكسورة وفي الآخر ياء مخففة .

«٢» ومن عاداتهم في ذلك اليوم انهم اذا اقبل عليهم صباحه يذهبون قبل طلوع شمس الى الشطء ويقلمون اظافرهم ، ويفسلون وجوههم ، ويرمون عن كل شخص منهم حجراً في الماء حتى عن الذهب منهم ، ويرمون ايضاً في الشطء عن كل واحد منهم ملعفة (خاشوقة) من طيبخ يطبخونه طيبخاً خاصاً بذلك اليوم - واسمه عند الهجم (رشته) وعند العامة من العرب (ام السلايخ) وذلك لان فيه نوعاً من العجين مقصوصاً شبه السلايخ . واسمه في العربية الفصحى (رشيدية) - ويشيرون برى الحجر ، والطيبخ الى انهم القوا عنهم كل نجوس السنة بتمامها ثم يرجعون الى دورهم طر بين سرورين وقد يخرج بعضهم في عصر ذلك اليوم الى البر للتنزه ولكنهم اقل من القائل امامارصفه الكاتب ، فهو ينطبق على يوم يسمى عندهم (ستره بدر) ومعناه (الثالث

وسائر الاربعاءات واربعاوات سعد ولذا يظربون وينزهون فيه طرد النحس والشووم. وهو اجتماع عام يستحضر فيه آلات الانس والطرب ويختلط فيه الرجال والنساء، ويكون ذلك عصر آخر يوم الاربعاء من صفر في كل سنة فيخرج فيه الاهالي من رجال ونساء وبنات وبنين بالزينة الكاملة الى موقع خارج البلدة مخفوف بالإلح زهار والاوراد حيث يكون العشب قد زاد الارض رونقاً ونضارةً وكساها جملة خضراء من حبل الطبيعة البهجة، فلا تسمع في ذلك الوقت الا نغمة عود وغناء مغني وطرب مطرب وهكذا. يكون حتى غروب الشمس فيعودون الى منازلهم فرحين جذلين مستبشرين. وقد علمت ان السبب لهذا الاحتفال الذي جعله العراقيون عادة من عاداتهم المفروض اجراءها هو اعتقادهم بأن شهر صفر شهر نحوس وويلات تكثرفيه النوائب وتزداد فيه الكوارث والمصائب وكذلك اعتقادهم بأن يوم الاربعاء من النحس الأيام وهو عادة من عادات العرب الاقدمين اخذوها عن الفرس والمجوس فكأنهم بهذا الانس والطرب وهذا الاحتفال الذي يقسمونه كل عام ينزعون من انفسهم رداء الشرور نقاؤلاً. وقد بلغت السخافة ببعض الناس انهم في يوم الاربعاء لا يذهبون الى حمام ولا يحلقون رؤوسهم ولا يغسلون ملابسهم لنحسه ويستدلون على ذلك بان اليوم الذي اخذت فيه الريح الصرصر قوم عاد هو يوم الاربعاء وهو اعتقاد اكثر المتجمين بيد اننا لو حسبنا ان كل يوم لحدث فيه نائبة او كارثة

عمرالى الخرج) ويكون دائماً بعد يوم عيد النوروز (دورة السنة) اوالتحويل بثلاثة عشر يوماً. ولهذا اطلقوا عليه هذا الاسم ويعرف عند العرب من اهل بغداد (بكسلة دورة السنة اي بطلتها) (لغة العرب)

لنحس لكنت كل الايام منحوسة لانه لا يخلو يوم من كارثة وقعت او تقع فيه.
 ٢ * الصوم الخرساني * «١» - من العادات التي فشت بين العراقيين
 فشواً كبيراً الصوم الخرساني. وهو صوم من شروق الشمس حتى نصف
 النهار تصومه كل انثى بلغت الحلم صوماً عن التكلم في هذه المدة واذا
 احتاجت الى التكلم تكلمت باشارات تدل على مطلوبها ومرادها ويكون
 ذلك في اول يوم الاحد من شهر شعبان في كل سنة، وقد جاء ذكر هذا
 الصوم في سورة مريم على لسان السيدة مريم عليها السلام وهو «وقولي
 اني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم انسياً» الا ان الدين الاسلامي
 لم يأمر المندوبين به بوجوب صيامه فهو اذا بدعة منكورة .

٣ * صوم زكريا * - هو صوم خاص بنساء العراق المسلمات وذلك
 بان تمسك المرأة نفسها عن الاكل والشرب وكل ما ينسد الصوم من شروق
 الشمس الى الغروب. وعند الغروب يجري احتفال شائق في كل بيت من
 بيوت المسلمين يجتمع فيه اهل البيت فيمدون الموائد وعليها صنوف الاطعمة
 والاشربة وكل ما تشبهه النفس وتلد لمرآة العين. ويضعون بجانب مائدة
 الطعام مائدة اخرى في وسطها صحن ماء، «حساء» محاط بأباريق و«نك»
 «جمع نككة وهي الكوز بلسان اهل العراق والكلمة فارسية الاصل
 بمعناها» على عدد مافي البيت من الانفس فيخصصون بكل ذكر ابريقاً
 وبكل انثى نككة ويحيطونها بشموع ويضعون في افواه الابارقة والنك
 باقات الزهور ويكفلونها بورق الليمون والبرنقال والباسمين، وعندما تقرب

٢٥٥ الخرساني بضم الخاء ضماً غير محكم والبعض يكسرونها ايها رآه صاحب
 يدها سين والف يليها تون مكسورة بعدها يا مشددة نسبة الى الخرساني عليه .

الشمس ويحیی وقت الافطار تجتمع العشيبة على المائدة المشحونة بكل انواع الطعام، وعندها يقرأ احد العارفين بأصول القراءة سورة من سور القرآن وتكون على الاغلب سورة مريم برمتها وبعد ذلك يفطرون اولاً على خبز من الشعير وماء البئر وباقات من الكراث والمكرفس وبعدها يتناولون مايشهون «١» وتجري العادة على هذه العادة في الاحد الاول من شهر شعبان من كل سنة .

٤ * صوم البنات * - وهو صوم تصومه كل انثى مسلمة بلغت سن الرشد وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب في كل سنة، وهذه العادة على ما كنت اظن خاصة ببنات الكرخ لاني لم ار لذلك اثرأ في جانب الرصافة الا اني قد سمعت من بعض الاصدقاء انها شاملة لجميع صبيات بغداد . وهن يستعددن لهذا الامر قبل شهر او شهرين من شراء الالبسة الفاخرة وادوات الزينة وفي ٢٧ رجب من كل سنة تذهب بنات الكرخ بزبنتهن الى مسجد امام بجانب الكرخ يعرف «بامام حبيب العجمي» فيفطن المسجد ويدخلن الضريح ويطفن حوله من جهانه الاربع وبايديهن الشموع ويترنن بهذه العبارة «جئنا نزورك يا حبيب العجمي .

«١» بعض النساء يصمن ثلاثة ايام متواليات. واما ما ذكره الكاتب بخصوص الاربيق للذكور والشكفة (والاصح الشربة) للانثى فهذا يكون في عيد دورة السنة (اي النوروز) وله وصف يذيع ليس هذا عمله .

اما هؤلاء فانهم يمشون عند الافطار شمعة ويضمونها على حافة البئر . ويأتون باربيق صغير جداً يكون جديداً . ويضمونه ايضاً على حافة البئر . ثم يفطرون . والذين ليس في دارهم بئر يضمون كل ذلك على (صينية) اي (على طبق من نحاس) ويصلون قبل الافطار ركعتين . (لغة العرب)

شمعة بطولك يا حبيب العجمي» . واما بنات الرصافة فيذهب علي ما بلغني من احدهم الي الشيخ الخلافي بالقرب من تربة الشيخ عبد القادر الجيلي . وبعضهن يخرجن الي خارج البلدة الي مسجد الشيخ عمر السهروردي ولم احفظ ثرناهن لكثرتها واختلاف بعضها عن بعض .
 ٥ * * * * * «حادثة الكسوف» - عندما تكسف الشمس او ينسف القمر يصعد اكثر عامة المسلمين الي سطوح دورهم فيطلقون الرصاص في الفضاء ويضربون علي الطوس وعلى كل شيء له رنة عالية ودوي مخيف وينشدون في خلال ذلك الموقف هذه الكلمات :

يا حونه يا المنخونه «١» * * * * * «طلعي قمرنا العالي» وان كان ما طلعته * نضربك بالجاقوج «٢»
 وهم يعتقدون ان منشأ هذا الحسوف والكسوف التقام الحوت للشمس او للقمر فهم بهذا الصراخ والصياح وهذا الدوي يريدون اربابه لتخليصها منه وذلك لاعتقادهم بأن في السماء بحر يسمى «بحر القدرة» وفيه مثل هذا الحوت الكبير الذي يتلع الشمس والقمر برمتها ، بالسحافة والحماة «٣» !
 ٦ * * * * * «اطلاق الرصاص في الفضاء» - قد اعتاد العراقيون عادة من اقباع العادات واطنهامن عادات الجاهلية التي بقي العراقيون عاكفين عليها كما عكفوا على غيرها من العادات الذميمة المنافية لروح المدنية ، والمشوهة لصفات الانسانية ، وهي انهم يطلقون الرصاص في الهواء بعد غروب الشمس عند

«١» الذحوتة : الذحوتة دلي لغة من يقاب الدين تاه . راجع لغة العرب ١ : ٢٥٣
 «٢» الجاقوجة بجيمين مثلثين فارسيين كلمة فارسية معناها الكين الصغيرة وهي تعريب جاقو
 «٣» هذا العمل مخصوص بحسوف القمر فقط . وقد يضرب بعضهم - اذا كسفت الشمس كسوفاً بيناً بحيث يغيب اكثر من نصفها - على الطوس فقط ويقول اهل دجيل

رويتهم هلال صفر «١» . وربما يكسرون الاكواز وكل شيء له دوي
ويعللون ذلك بان شهر صفر شهر مشؤوم لتوالى فيه الرزايا على العباد
فيطلقون بنادقهم لارهابه ولطرد الشرور . ولم غير ذلك من السخافات
كلها من هذا القبيل وكذلك يفعلون في آخر ليلة منه .

٧ * كربة عليها شمعة * ومن عادات العراقيين المتمسكين بها تمسكاً
شديداً والتي توارثها الابناء عن الاباء وهو لاء عن الاجداد هو ان المريض
اذا ثقل عليه مرضه واراد اهله معرفة نتيجة المرض من ثقيلة او خفيفة
ياثون بكربة عليها شمعة مشعولة يسيرونها على دجلة «٢» فاذا توارت
عن الانظار ولم يصادفها شيء يعيقها عن سيرها او يذهب بضائها علم ان
شفاء المريض محقق لامحالة ! وتباشر اهله بذلك اما اذا صادفها عارض قبل
نواربها عن الابصار او انطفأ ضياؤها علم اهل المريض انه ميت لامحالة !
وعندئذ يعلو الصراخ ويزداد العويل والتعجب وربما مات المريض لساعته من كثرة
الصراخ ومن يأسه من الشفاء . وهذه التجربة لانكون الا في ليلة الجمعة .

٨ * القعود في الطرق * قد اعتادت نسوة العراق المسلمات القعود في
الطرق ليلة الجمعة قرب الساعة الواحدة والنصف شرقية وذلك ان المرأة

واطرافه عند خسوف القمر وهم يضربون على الطوس عن لسان (الموت) وهي تكلم
القمر بهذا الكلام «حاس حاس ما ظل بالجوء ناس» . ومعناها : اذن اذن ، ايسق في الجو احد
ينصر لك . فيجيبها القمر : لا اسمي لك = (دق) الصفر ، واسمى دن (اى طنين)
(الاجراس) = (الاجراس) . (لغة العرب)
١٥ لا يطلق احد رصاصا بل ولا يكسر من الاكواز شيئاً عند رؤيته هلال صفر البتة
بل كل ذلك يكون عند رؤيته هلال شهر ربيع الاول . ويضعون في كل كوز يريدون
كسره (بارة او قرشاً) ويلوثونه ماءً ويكسرونه وذلك تقاضاً لا يكسر الكسر . (لغة العرب)
٢٥ يهدونهم الى الحضرة وبضهم يندون ذلك للحضرة اذا شافى الله المريض . (لغة العرب)

إذا كان لها زوج غائباً وانقطعت عنها اخباره و ارادت معرفة ما اذا كان مجيئه قريباً او بعيداً او ما هو عليه من صحة وسقم او خير وشر او اذا لم يكن زوجها غائباً ولها مريض و ارادت معرفة ما اذا كان شفاؤه مرجو ام لا ، وغير ذلك من معرفة المجهولات تفعد على مفرق ثلاث طرق وتقبض بيدها على ثلاثة اشجار فتزجي واحداً منها على الطريق الذي عن يمينها والثاني على الذي عن يسارها والثالث على الجهة القبلية وتقول هذه الكلمات «يا خيرة الدرب غليني ما في القلب زينة ثنين شينة ثنينين» وبعده تفعد صامتة تراقب ما يقوله الآتون والذاهبون فاذا سمعت كلاماً منهم تعتقد فيه الخير استبشرت وفرحت واذا كان شراً حزنت واكتأبت وكذلك شأن الجاهلدين

٩ ﴿ خيط الحمى ﴾ قد اعتاد العراقيون عادة تصحك التكملي وتدل على سخافة في العقول وسذاجة في الافكار وهي ان كل من تعثر به الحمى يأخذ اهلوه خيطاً من القطن ويذهبون به الى باب احد الجوامع في ليلة الجمعة قبل صلاة العشاء فيقبض احدهم على طرف منه والاخر على الطرف الثاني ويمدونه على الباب ليكون بمنزلة مانع الداخول ويقون كذلك الى ان يخرج المصلون من الصلوة وعند ذلك يقطع اول الخارجين من الجامع فيعتقد اذذاك اهل المريض ان الحمى قد انقطعت عن مريضهم وانتقلت الى قاطع ذلك الخيط ! «١» الى هذا الحد بلغت الحنفة والسخافة بالعراقيين وكانوا

«١» او يضعونه في طريق عام فيقطعه احد المارين به وهذه العادة والتي قبلها من عادات البغداديين اما اهل البلاد الاخرى من العراق فلم عادات اخرى ليست كهذه وسند كرها فيما بعد ان شاء الله
(لغة العرب)

في ما سلف اساتذة العالم ومهذي اخلاق الشعوب وهكذا يكون الجهل فانه
كقدح السم من شرب منه اودى به «١» .
ابراهيم حلمي

الماليسور

Les Malisores.

١ مدخل البحث

كثر الكلام في هذه الايام عن الماليسور او الماليسور ، واذا اردت ان
تعرف من امرهم شيئاً لا تكاد تقع عليه في كتبنا العربية حتى ولا في كتب البلدان
او التاريخ واهذا كتبنا هذه الاطر ليقف على حقيقةهم من بهمه هذا الامر .

٢ تعريفهم

الماليسور قبيلة من قبائل الارناؤوط او الالبانيين معروفة بشراستها
وشدة اخلاقها وتعلقها المفرط بالحرب والصدو والاستقلال والاستبداد واخذ
النار من الاعداء . وبلادهم واقعة في اتصى تركية «٣» اورية من بعض
جبهتها الغربية على البحر الادرياتيكي .

٣ عددهم وقبائلهم والويتهم

يبلغ عددهم اليوم ٥١٤,٠٠٠ لا غير . فيهم ١٥٤,٠٠٠ مسلم و ٢٢٠ رومياً
ارثوذكسياً والباقي اي ٣٥٤,٨٨٠ هم نصارى كاثوليك فيكون الثلثان منهم
كاثوليكاً وثلث الآخر مسلمين . وهم يقسمون الى عدة افخاذ او عشائر
اشهرها الخطبة والاكلمنتية والكسترانية وهناك غير هذه الافخاذ وهي
هذه باسماؤها واقسام الويتهم وعدد نفوسها :

«١» جميع الحواشي التي على مقالة العادات هي لمدير المجلة

«٢» ايديك بعضهم «تركية» بلفظة «العثمانية» قائلين ان تركية من الالفاظ الخاصة

بالترك وهي تنفي وجود سائر العناصر في البلاد ونسوا ان الكل قد يسمى بالجزء من

ياب التعميم او اطلاق قيد التخصيص .